دوافع شديدة الذاتية

ياسمين

النور خافت ، يمرر يده عليّ بلمسات تجعل رغبتي تتوهج ، تتلاصق أجسادنا ، وأفتح ساقيَّ لأستقبله داخلي ..

كنت شديدة التوتر ، أخذت قرارًا واعيًا أنني سأفقد غشاء بكارتي في ذلك اليوم ، بعد حوالي عام من صراعي مع نفسي ، لم أستطع أن أقرر ذلك بسهولة بالرغم من كوني نسوية ومؤمنة بحرية الجسد ، ولكن كلما فكرت في وجهي أمي وأبي إذا علما ما تفعله ابنتهما أتراجع.

يوم ما ، جعلتني البلاهة أظن أن بإمكاني اتخاذ قرار فقد غشاء بكارتي ، جعلتني البلاهة أقول أن هذا جسدي أنا وحدي ، وأنا الوحيدة التي تمتلك الحق في الإقبال أو الامتناع عن هذا القرار ، دون الخضوع لأي ضغوط خارجية.

ولكن حين فتحت ساقيَّ جاءت الحقيقة ، ألمٌ شديد لم أستطع احتماله ، صرخت بشدة ، وفي ثانية كتمت صرختي حتى لا يعرف الجيران أن هناك امرأة في تلك البناية تمارس الجنس.

لم نستطع إنهاء الأمر ، وعلمت فورًا أن هناك خطأ ما.

تلك المعرفة لم تمنعني من المحاولة مرات أخرى ، ولكن كل مرة كنت أشعر بنفس الألم ، ومع المحاولات رافق ذلك الألم شعور كبير بالذنب والخوف ورغبة في الهروب من تلك اللحظة التي أيقنت فيها مرارًا أن حتى جسدي يأبى أن يخضع لما قررته ، وكأنه غريب عني ، وفي يوم ما قررت أن أتوقف عن المحاولة.

كنت شديدة الخوف من زيارة طبيب لمعرفة ما خطبي ، لمدة عام ونصف كنت أهرب من تلك اللحظة ، لحظة أن اكتشفت أن مشكلتي بسيطة وحلها شديد السهولة ، ولكن لا يمكنني القيام به ، لأن الطبيب والمستشفى والدولة لن يسمحوا لي بالقيام بتلك الجراحة لأنني لا أمتلك عقد زواج يعطيني الحق في "مزاولة" نشاطي الجنسي.

وكأن الحياة قررت أن تواجهني بواقعي ، وأن تردعني عن تمردي ، واضعة الحقائق صوب عيني ، فمهما كنت نسوية وأطالب بحقي وحق الآخرين في أجسادهن ، الحقيقة أن أبي وأمي وعائلتي والطبيب والمستشفى ووزارة الصحة يمتلكون جسدي. هكذا بمنتهى البساطة.

وفي خضم ذلك الصراع ، أردت بشدة أن أكتب ، شعرت أن في الكتابة يكمن جزء من تحرري من الشعور بالوحدة ، أردت أن أجد أخريات مررن بنفس الذي مررت به ، أردت أن أعلن ، لهذا أنا نسوية وأن دوافعي للنضال شديدة الذاتية ، فلذلك أنا أريد بشدة لهذا النظام الأبوي الوصي على جسدي أن ينسحق ، أردت الكتابة لأنها تجعل هشاشتي مرئية أمام عيني وتيقنني من أن لغضبي ولعجزي مساحة ما ، فعلى الأقل أستطيع أن أكون غاضبة داخل حروفي وجملي ونقاطي وفصلاتي الكثيرة ، أردت الكتابة لأنها تمنحني مساحة للتفكير مليًا في أصل دوافعي ومشاعري ، لأنها تجعلني أرى وأدرك تفاصيل لم أكن لأراها لو لم أجلس وأبدأ في التفكير ، عن أصل الشعور بالذنب الذي لا طالما شعرت به كلما أبى جسدي الانصياع لأوامر عقلي..

ولكني أيضًا أردت الكتابة معلنةً عن من أكون ، أردت لاسمي أن يكون بأعلى ما أكتبه ، أردت أن أقول هذا هو ألمي ، وليس ألمي وحدي ، من هنا يأتي غضبي ولست الوحيدة الغاضبة ، ومن غضبي تنبثق دوافعي!

أردت أن تنسب تجربتي لي ، أن يدرك أصدقائي ومعارفي أنني مررت بهذا ، أردت أن أعلن أن الألم الذي بسببه صار النظام أقوى مما يتصورون ، وأن ذلك "القهر" لا يكمن فقط في الشعارات الكبرى التي اتخذها رفاقي نهجًا لهم يتغنون بها على المقاهي وفي غرف الأحزاب ، و أن القهر لا يكمن فقط في عدم المساواة في الأجور أو في العنف الذي نواجهه يوميًا كنساء في الشوارع ، ولكنه أيضًا داخلنا ، يتجسد في أدق تفاصيل حياتنا الحميمية ،

أتذكره وأنا في الفراش ، واستحضره في نشوتي.

ولكن هل لتجربتي تلك مساحة للطرح ؟ هل يمكن أن تكون تجربتي ، والتي تتشابه مع تجارب نساء أخريات ، دافع لوضع حرية أجسادنا على أولويات أجندة النضال ؟ هل يرى الرفاق التقدميين الثوريين محاربي النظام تجربتي سياسية وأن ألمي نابع من قهر سياسي واجتماعي ؟

في الحقيقة خفت بشدة أن أكتب وأنا معلنة اسمي ، تملكني التوتر عندما فكرت في المواجهة ، فأنا أشعر بالاستنزاف وعدم القدرة على مواصلة الحرب مع الدائرة الأوسع القادرة على سحقي ،أعلم جيدًا أن طاقتي محدودة بشدة ، وأنني لا أستطيع أن أدخل في صراع جديد ، لن أستطيع أن أتحمل كم الأحكام التي ستطلق عليّ ، ولا أمتلك القدرة على مواجهة أهلي ، جلست أفكر مليًا في رد فعل أمي وأبي إذا علما أن ابنتهما تمارس الجنس خارج إطار الزواج ، ومن الغريب أن يأتي هذا الخوف في أكثر اللحظات التي أردت أن أشاركهما فيها ألمي ، كل ما أردته منهم أن يتفهما ذلك الألم والعجز ، كنت أغمض عيني وأتخيل ذات يوم وأنا جالسة أحكي لهم كل ما مررت به ، وفي ذلك الخيال جسدت كل ما أردته منهم ، أن يتعاطفا معي وأن يقولا لي نحن معك أيًا كانت اختياراتك ، وسندعمك ولن نجعل شعورك بالعجز قائمًا ، وفي كل مرة كنت أفيق على حقيقة أنهما لم ولن يتقبلا ذلك أبدًا.

أعلم جيدًا أن حتى لو قبلني أبي وأمي سيضطران لمواجهة واقع ضاغط نفسيًا ومؤلم ، سيكون عليهم خوض حرب لم يختاروها ، وستبدأ تلك الحرب من داخلهم ، حتى يكسروا كل ما تربوا ونشأوا عليه. التمس لهم العذر ، وأحبهم.

والآن أكتب وأنا أُجهل هويتي ، فالكتابة في حد ذاتها فعل مقاومة ، يوثق واقعي وواقعنا ، يوثق صراعاتنا التي نعيشها في أدق تفاصيل حياتنا ، ويجعل ألمنا معلنًا ، ويخلق مساحة لمشاركة غضبنا وهشاشتنا لمواجهة عالم قادر على سحقنا نفسيًا واجتماعيًا وقتما شاء.